ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

محور المقاومة في ميزان الفلسفة والصراع الدولي

إيهاب شوقي

يتأرجح الغرب دوما بين نظريات وفلسفات ترفع القيم مثل المساواة والعدالة، وممارسات تهدر هذه القيم مثل الاستعمار والهيمنة، فيما بدا كمحصلات نهائية انها شعارات جوفاء، وقد تأثر الغرب رغم تباين مدارسه بجدلية

«هيجل» الشهيرة المعروفة بـ»السيد والعبد»، ويبدو انه توقف عند تناقضاتها ولم يفقه مخرجاتها القاضية بحتمية الاعتراف المتبادل.

هنا نحن لسنا بصدد نقاش فلسفي لرصد تأثر المدارس السياسية المختلفة بنظريات هيجل او ماركس وغيرهما، بل بصدد رصد قناعات انعكست على التوجهات والسياسات ويمكن ان تقود الى تحليل الواقع واستشراف تطور الاحداث في المستقبل القريب.

فبعد انهيار جدار برلين والذي تم اعتماده كتأريخ اكاديمي لسقوط الشيوعية، ظهرت اطروحة فوكوياما الشهيرة بـ «نهاية التاريخ»، والتي تقول ان الديمقراطية الليبرالية هي اللي انتصرت وانها والرأسمالية وافكار السوق الحر تمثل نهاية التطور التاريخي والثقافي وقمة الوعي الانساني، مستخدما اقتباسات فلسفية لهيجل وغيره، كمحاولة لتسويغ اطروحته باضفاء ابعاد عقلية وروحية وفلسفية.

والملاحظ أن الفكر السائد في هذه المرحلة حاول تسفيه جميع الايديولوجيات الاخرى والخروج عن مدرسة الواقعية الكلاسيكية الأمريكية والتي كان من أشهر معتنقيها كيسنجر، وبدأ مرحلة نيوليبرالية متطرفة تصف الآخرين بالارهاب وبالخروج عن التاريخ والشذوذ عن الواقع.

وتزامنت مع ذلك أطروحات أخرى تسوغ ما أعلنته أمريكا من حرب على الارهاب، مثل أطروحة صراع الحضارات، وبدا أن العالم متجه لقطب وحيد وهيمنة امريكية خالصة.

إلا أن رفض الشعوب الحرة وبروز قادة تاريخيين لقيادة المقاومة لهذه الهيمنة، ابطل هذه الخرافات والاوهام الامريكية، فصعدت الصين كقطب اقتصادي، وروسيا كقطب عسكري رادع، وبرز محور المقاومة كقطب اقليمي مانع لابتلاع الاقليم وبطبيعة الحال اهدر احلاما جيوستراتيجية امريكية اوسع من البعد الاقليمي.

الشاهد أنه وقبل انهيار الاتحاد السوفيتي، برزت عدة ايديولوجيات ومدارس، صبغت الصراع الدولي وشكلت ردة فعل على ما تصور الغرب سابقا بشكل او باخر انه نهاية للتاريخ او وصول لذروة العقل عبر الليبرالية الغربية في أعقاب الثورة الفرنسية، وبدت كنقطة انطلاق للاستعمار والهيمنة.

فقد برزت الفاشية والنازية والشيوعية والقوميات، وبرز القادة التاريخيون واتسم الصراع بالحدة ووصل لذروته عبر الحربين العالميتين، وما تلاهما من حرب باردة.

واليوم يعيش العالم مرحلة مشابهة بدورة صراع جديدة مع اختلافات ومستجدات قد تؤثر في بعض أشكال الصراع، ولكنها قد لا تؤثر في مضمونه.

فاليوم هناك بروز جديد للقادة التاريخيين بعد مرحلة حاولت خلق اشخاص وظيفيين مهمتهم تنفيذ السياسات النيوليبرالية في كافة منطاق الصراع السابقة، فقد حاولت المؤسسات الدولية تسييد النيوليبرالية في مواطن الايدلوجيات المنافسة، مثل ايطاليا والمانيا وروسيا والشرق الاوسط وامريكا اللاتينية، بديلا عن الفاشية والنازية والشيوعية والقوميات، وحاولت خلق طبقات حكم موالية ورؤساء بلا شخصية او كاريزما او خطاب سياسي.

لكن هذه الخطة لم تنجح في الصين والتي سارت على خطى ثابتة مستقرة، ولا في روسيا التي ابرزت قائدا تاريخيا مثل بوتن، ولم تنجح في امريكا اللاتينية بشكل كامل، حيث برز قادة مثل تشافيز ومن بعده مادورو وكذلك موراليس.

أما في منطقتنا، فاصطدمت الخطة بمحور المقاومة وقادة تاريخيين يحملون ايدلوجية عصية على التشويه، فلا هي قومية بشكل عنصري يمكن صبغها بأنها تحمل انفصالا عن العالم ووحدته وتشكل انغلاقا ويمكن ضربها عبر استقطاب بعض مكوناتها واضعاف حلقاتها.

ولا هي فاشية او نازية تنادي بسيادة اعراق بعينها.

ولا هي دموية كاشكال شوهت الاسلام ورفعت رايته زورا ومارست القتل والارهاب.

فقد تميز محور المقاومة بخطاب تحرري وحضاري منفتح بدت في صراعه مع الغرب والكيان الاسرائيلي، كل سوءات المعسكر الاخر وتناقضاته، وبدت معه كل خطايا المتخاذلين والخونة.

لم تعد أوراق الغرب اليوم بنفس قوتها، من حيث ادعاء المساواة والديمقراطية وحقوق الانسان، فقد هيمنت على الغرب ذاته مدارس يمينية قومية شعبوية أصبحت منافسًا انتخابيًا قويًا، كما نرى في المانيا وفرنسا وايطاليا وغيرها من جهة، كما برز تناقض الغرب وشعاراته بتحالفه مع منتهكي هذه القيم من جهة اخرى.

وهنا نحن بصدد عودة لصراع مشابه لصراع القرن الماضي عبر ايديولوجيات صريحة وقادة تاريخيين بارزين.

لقد جسد ترامب الوجه الحقيقي لأمريكا في لحظة تاريخية كاشفة، حيث جسد وجهها الرأسمالي القومي العنصري، وقد يحاول بايدن احياء الوجه النيوليبرالي لتأجيل لحظة الصدام على خلفية قراءة استراتيجية أمريكية في دولتها العميقة بأن التوازنات ليست في صالح أمريكا.

وقد تكون مرحلة ترامب بمثابة مرحلة تجريبية لاستكشاف التوازنات الدولية وجس النبض واجبار بعض القوى على ابراز أحدث مستجداتهم من الاستعدادات، وهو ما حدث وبرزت مع ترامب قوة روسيا واظهارها لبعض ما تخفيه، وكذلك محور المقاومة وما أبرزه من استعداد وشجاعة، وهو ما قاد لإبراز شخص مثل بايدن ليعمل على التهدئة واكمال الاستعدادات الأمريكية أو بالأحرى لحاقها بالتوازنات الجديدة والعمل على استعادة التفوق.

تبقى المعضلة هنا لمن لا يفقهون الوضع الدولي الجديد والذي في شكله احياء للنيوليبرالية، وفي جوهره صراع ايديولوجي عبر قادة تاريخيين.

فالقادة في منطقتنا هم قادة محور المقاومة، بينما موظفو النيوليبرالية هم احبار على أوراق لا يشكلون الا أدوات قد تكون عرضة للتلف أو الاستبدال وفقًا للتوازنات وتطورات الصراع وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا أو يرسمون تاريخا!

اليمن.. على موعد مع النصر

سعيد محمد

يبدو ان العدوان على اليمن الذي تم الاعلان عنه قبل ٦ سنوات من واشنطن، من قبل وزير الخارجية السعودي عادل الجبير، قد ينتهي ايضا من وشنطن، بعد ان دعا الرئيس الأميركي جو بايدن إلى إنهائه ووقف الدعم وبيع الأسلحة الامريكية لتحالف العدوان، الامر الذي اكد ما هو مؤكد ان أمريكا كانت ومازالت هي الجهة الرئيسية التي تقف وراء هذا العدوان ، والمسؤولة عن المأساة التي يعيشها الشعب اليمني منذ عام ٢٠١٥ وحتى اليوم.

من الخطأ الاعتقاد ان المشاعر الانسانية، هي التي حركت الرئيس الامريكي بايدن لوقف العدوان على اليمن، فالسياسة الامريكية لا تتحرك على ضوء المشاعر الانسانية ، او المبادىء الاخلاقية، فلو كان الامر كذلك لتفتقت هذه المشاعر في سورية والعراق وليبيا وافغانستان، التي تعاني شعوبها الامرين بسبب الجرائم التي ترتكبها القوات الامريكية

التي تجثم على صدور هذه الشعوب بالقوة، وتقتل ابناءها وتنهب ثرواتها وتشرذم اهلها وتقسم ارضها، دون ان يرتد للمعتدي الامريكي طرف.

الفارق الوحيد في الحالة اليمنية، هو ان الشعب اليمني تمكن بصموده الاسطوري ومقاومته الشجاعة، ألا يدفع العدوان فحسب، بل نجح في ضرب العمق السعودي، وتهديده عصب الاقتصاد السعودي ، وهو الصناعة النفطية، من دون ان تتمكن امريكا من حماية حليفتها، رغم بيعها مئات المليارات من الاسلحة للسعودية.

ليس المخاطر التي باتت تهدد السعودية في الداخل وعلى الحدود، هي التي دفعت بايدن لوضع السُلم لإنزال ولي العهد السعودي محمد بن سلمان، وولي عهد ابوظبي محمد بن زايد ، من اعلى الشجرة، بل تورط الكيان الاسرائيلي في هذا العدوان، والذي استفز القوات المسلحة اليمنية، التي هددت بتوجيه ضربات في العمق «الاسرائيلي» ، في حال تمادى الكيان الاسرائيلي في عدوانه على الشعب اليمني، كان حافزا آخر لبايدن للتفكير بوضع حد للعدوان، وايجاد مخرج يحفظ ماء وجهه و وجه أدواته من امثال ابن سلمان وابن زايد ونتنياهو.

من الواضح ان الحكومة اليمنية في صنعاء، رغم ترحيبها بمبادرة بايدن، الا انها اعتبرت الافعال وليس الاقوال، وفي مقدمتها وقف العدوان ورفع الحصار عن الشعب اليمني، هي من ستحدد ان كان بايدن صادقا بمبادرته أم الا. فأمريكا اطلقت العديد من الوعود من قبل لوقف العدون، الا انها بقيت حبرا على ورق، بالاضافة الى ان تاريخ بايدن لا يساعد على الوثوق بالرجل، فهو كان يشغل منصب نائب الرئيس الامريكي في ادارة بارك اوباما، عندما شنت السعودية والامارات عدوانهما على اليمن باشرف امريكي مباشر.

منذ اليوم الاول للعدوان على اليمن، كان الشعب اليمني يطلق على هذا العدوان تسمية العدوان الامريكي الاسرائيلي السعودي الاماراتي. فالهدف من وراء هذ العدوان ليس «شرعية» المستقيل والهارب عبد ربه منصور هادي، بل الهدف الحقيقي هو قسيم اليمن وشرذمة شعبه ونهب ثرواته والسيطرة على موانئه، خدمة ل»أمن واستقرار إسرائيل".

هذه الحقيقة المرة يمكن تلمسها من خلال موقف السعودية والامارات، وهو موقف في غاية الذل والمهانة، فقد نفذتا ، دون ادنى اعتراض، أوامر امريكا عندما كان بايدن نائبا للرئيس الامريكي، بالعدوان على اليمن، واليوم ودون اي اعتراض ايضا تصفقان لبايدن، عندما امرهما بوقف العدوان على اليمن، ففي كلا الحالتين لا تملكان الا التنفيذ والتصفيق، وهو ما يؤكد ان البلدين ليسا سوى ادوت تستخدمها امريكا واسرائيل لتحقيق اهدافهما في المنطقة، وان كل ما قيل عن الذرئع التي سطرتها السعودية والامارات لتبرير عدوانها، لم تكن سوى ذر للرماد في العيون ، من اجل التغطية على الاهداف الحقيقية للعدوان.

دعوة بايدن الى وقف العدوان على اليمن وعدم تزويد السعودية بالاسلحة، هو اعترف رسمي بهزيمة المشروع الامريكي في اليمن، وبفشل ادوات امريكا، اسرائيل والسعودية والامارات، في تنفيذ هذا المشروع. وان الشعب اليمني تمكن بصموده من تركيع الغزاة واسيادهم، وهو ما فضح امريكا وادواتها، الذين عجزوا، على مدى ٦ سنوات، عن مواجهة رجال اليمن، فجوعوا اطفاله ونساءه، فكان العار نصيب امريكا وادواتها، بينما النصر كان على موعد مع رجال اليمن الاشداء.

عودة «داعش».. استراتيجية بايدن للبقاء في سوريا والعراق

د.علي.أ.مطر

شكّل ظهور تنظيم «داعش» في العراق الباب الكبير لإعادة تموضع وزيادة قوات الاحتلال الأميركي في بلد عانى في مواجهة إرهاب كانت واشنطن سبباً أساسياً في صعوده، خاصةً بعد أن انسحبت من العراق من دون أن تبني عراقاً مستقراً، ومن ثم شكل فرصة كبيرة لدخول القوات الأميركية إلى سوريا.

لقد استفادت الإدارة الأميركية أيّما استفادة من تنظيم «داعش»، فهذا التّنظيم شكّل أداةً «لخدمة مصالح واشنطن، التّي تسعى منذ تسعينيات القرن الماضي لتقسيم العراق والسّيطرة عليه، وهذه السّياسة سهّلها تنظيم «داعش» الذّي هو عبارةٌ عن الأداة الأهمّ في تنفيذ أجندة الولايات المتّحدة الأميركيّة». وتؤكّد دراساتٌ غربيةٌ أنّ «داعش» صنيعة المخابرات الأميركيّة، وأنّ أجندة واشنطن لمكافحة الإرهاب في العراق وسوريا تتمثّل في دعم الإرهابيّين.

لا شكّ أنّ تنظيم «داعش» لم يأتِ من فراغ، ولم يبنِ دولته دون مقوّماتٍ ضروريّةٍ بالنسبة له كتنظيم مسلّح، يحتاج إلى وجود عناصر وسلاح ونظريّاتٍ للقتال. لقد وضعت اللّبنات الأولى لنشوء هذه التّنظيمات في أفغانستان، بدعم أميركيٍّ لمحاربة الاتّحاد السّوفياتيّ. وقد أشارت وزيرة الخارجيّة الأميركية السابقة هيلاري كلينتون إلى هذا الأمر، معتبرةً أنّ بلادها تقف خلف نشوء «داعش» ولو بطريقةٍ غير مباشرةٍ، فـ «واشنطن» هي التّي دعمت هؤلاء في أفغانستان لمحاربة الاتّحاد السّوفياتيّ.

وأعلن الرئيس الأميركي السابق المعرّض للمحاكمة حاليا دونالد ترامب، خلال حملته الانتخابية، أنّ الرّئيس الأميركيّ السّابق باراك أوباما هو مؤسّس «داعش»، مضيفاً أنّ «التّنظيم يُكنّ له الاحترام». كذلك قال «ديفيد كيلكولن» ـ الّذي كان مُستشاراً سابقاً لكلٍّ من الجنرال «ديفيد بيترايوس» ووزيرة الخارجية السّابقة «كوندوليزا رايس» ـ في تصريح له في آذار/ مارس ٢٠١١، «علينا أن ندرك أنّ الكثّير من المشاكل هي من صُنعنا، ولا يمكن أن نُنكر أنّ «داعش» لم يكن ليوجد لو لم نكن قد غزونا العراق."

أولاً: عودة «داعش» في ظل إدارة بايدن

مع تسلم الرئيس الديموقراطي جو بايدن الحكم في الولايات المتحدة الأميركية، بدأ الحديث مجدداً عن عودة تنظيم «داعش» للعمل في سوريا والعراق، وهو ما تزامن مع عمليات عدة للتنظيم في البلدين، على وقع تسلم بايدن مقاليد الحكم في البيت الأبيض. الهجمات شبه اليومية التي يشنها التنظيم في العراق وسوريا تطرح بإلحاح سؤالاً كان يبدو لكثير من المراقبين أن تطورات الأحداث قد تجاوزته: هل عاد داعش إلى الحياة؟ ولماذا أرتفعت وتيرة العمليات مع تغير الإدارة الأميركية؟

وبدأت تتصاعد عودة التنظيم إلى العمل مجدداً، ففي سوريا، استقدمت قوات التحالف الدولي، الذي تقودُه الولايات المتحدة، تعزيزات جديدة إلى قاعدتها العسكرية في تل بيدر، شمالي الحسكة، وسط استمرار التحالف وقوات سوريا الديموقراطية (قسد) بتنفيذ العملية العسكرية الأخيرة بمناطق شرقي سوريا، ضد التنظيم. من ناحيته، حذّر تقرير لموقع «بزنس إنسايدر» من عودة التنظيم إلى العراق، مشيراً إلى أنه حقّق مكاسب في الفترة الماضية، رغم إعلان هزيمته في ٢٠١٧. كثّف التنظيم عملياته في المناطق الريفية منذ النصف الثاني من عام ٢٠١٩، وتشير البيانات إلى أنه ينقل مقاتليه أصحاب المهارات إلى المنطقة من سوريا.

إذا كان ٢٠١٩ هو عام الإعلان عن القضاء على تنظيم «داعش» في سوريا، بعد خسارته معقله الأخير شرقي سوريا في بلدة الباغوز في ريف دير الزور، فإن العام ٢٠٢٠ شهد عودة نشاط التنظيم الإرهابي وخلاياه المتفرقة، كما اعتمد «داعش» على خلايا له لتنفيذ عمليات أيضاً في منطقة شرقي نهر الفرات ضد «قوات سورية الديمقراطية» (قسد) ومتعاونين معها في ريف دير الزور الشرقي، إضافة إلى عمليات في

مناطق سيطرة المعارضة السورية. وفيما اعتمد «داعش» على ما يُعرف بـ «الذئاب المنفردة» لتنفيذ عمليات في سورية، مع انتشاره على نحو ٤٠٠٠ كيلومتر مربع، مستغلاً انتشاره في مناطق غير مأهولة وطبيعة البادية، وتكيّفه مع المستجدات، مع استغلال التناقضات بين أطراف الصراع المختلفة، فإن الوضع على الجانب الآخر من الحدود، في الأراضي العراقية كان مختلفاً، وهو يعود بشكل أقوى في عام ٢٠٢١ في ظل إدارة أميركية جديدة تسعى لتثبيت تواجدها في سوريا والعراق.

ووفق تقرير صادر عن مجموعة الأزمات الدولية «توفر هذه الأراضي الوعرة لمتشددي داعش الحماية الطبيعية، ما يسمح لهم بالاختفاء خلال النهار، والتحرّك ليلاً ضمن مجموعات صغيرة، سيراً على الأقدام أو بواسطة دراجات نارية (..). من مخابئهم هذه، اقتحموا المناطق الريفية واختطفوا السكان واغتالوا مسؤولي الدولة".

مثلثات الموت

يعمل التنظيم في العراق بطريقة لا مركزية، في خمس مقاطعات: محافظة الأنبار، وديالى، وكركوك، ونينوى، وبغداد، وفي مقاطعة تشمل جنوب البلاد بكامله. ويترأس كل منطقة «مسؤول» يرافقه أحياناً قائد عسكري». ويشدّد التقرير على أن ما يسميه العراقيون «مثلثات الموت» قد عادت بالفعل، وهي حاليا أربعة، يحتوي كل منها على ما بين ٣٥٠ و٤٠٠ مقاتل.

وفي منتصف شهر ايار/ مايو ٢٠٢٠ تناقلت وسائل الاعلام العالمية اخبارا وتسجيلات مرئية حول هروب عدد كبير من مقاتلي تنظيم «داعش» المحتجزين في سجن الهول بريف الحسكة الشرقي الذي تشرف عليه قوات سوريا الديمقراطية. وهي عملية لم تكن لتتم بدون مساندة خارجية فاعلة ومؤثرة، وهو ما يعني أن تنظيم داعش ما زال موجودا وقادرًا على الحاق الأذى بالناس.

ثانياً: تحليلات أمريكية ـ غربية عن عودة «داعش» الى سوريا والمنطقة

يقول انطوني كوردزمان في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بحسب ما ينقل مركز الاتحاد للأبحاث أن هناك مخاطر جسيمة في الادعاءات حول القدرة على هزيمة الإرهاب بشكل عام، و«داعش» بشكل خاص. إن أحد أهم القيود على الطريقة التي خاضت بها كل من الإدارتين الديمقراطية والجمهورية «الحرب» على الإرهاب هو أنها تعاملت معها إلى حد كبير على أنها كفاح عسكري ضد حركات إرهابية فردية، وليس كحملة أوسع للتعامل مع مجموعة من التهديدات التي لا يمكن هزيمتها دون نجاحات كبيرة ضد مجموعة واسعة من الحركات المتغيرة باستمرار وبدون جهود كبيرة للحد من أسباب الإرهاب.

بدوره يذكر معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى في مقال له إنه بعد سقوط تنظيم داعش في آذار/ مارس الماضي ٢٠٢٠، وانتهاء سيطرته على الأرض، ظل مخيم الهول في شمال سوريا القلب النابض للتنظيم. وقد منح الموقع الاستراتيجي المنعزل للمخيم، والذي يطل من المناطق الحدودية النائية، تنظيم «داعش» مساحة جيدة لنشر الأفكار المتطرفة بين العشائر العربية القاطنة في تلك المنطقة. بالنظر إلى موقعه، أصبح مخيم الهول نقطة تجمّع لمقاتلي داعش الذين تم أسرهم خلال المعارك مع التنظيم.

ويقول المعهد إنه في أعقاب انتشار «كورونا» وانحسار القوات الأمريكية، انكشفت الفجوات الأمنية، مما سمح لـ»داعش» بالتحرك بحرية أكبر، وإجراء عمليات هروب من السجون، وتنفيذ هجمات أكثر تطوراً، وتهريب المقاتلين عبر الحدود.

وقد أشار مجموعة من الكتّاب في Home Land Security Today US في مقال لهم أن «تنظيم «داعش» تحول إلى شبكة سرية، في كل من العراق وسوريا، بينما لا يزال يمثل أيضًا تهديدًا عالميًا بقيادة مركزية، وهو أمر يمثل إشكالية أيضًا".

كما حذر الجنرال كينيث ماكنزي جونيور، قائد القيادة المركزية الأمريكية، في حوار في معهد السلام الأمريكي في ١٢ أغسطس/اب ٢٠٢٠ من أن «داعش» يعمل «بحرية أكبر» غرب نهر الفرات وفي صحراء البادية الوسطى، وهي منطقة لا تسيطر عليها الولايات المتحدة أو القوات المحلية الشريكة لها. وقال إنه «بدون ضغط مستمر» يمكن لداعش استعادة السيطرة على الأراضي في سوريا والعراق المجاور «في فترة زمنية قصيرة نسبيًا".

وأضاف «أعدنا توجيهنا في تشرين الأول/ أكتوبر الماضي إلى ما نسميه «المنطقة الأمنية في شرق سوريا»، وهي حدود تمتد على طول نهر الفرات، في منتصف الطريق شمالًا وتتقاطع مع الشرق. هذا ما نحن فيه. هذا هو المكان الذي نعمل فيه مع شركائنا في قوات سوريا الديمقراطية ولدينا مهمة تكميلية لمساعدتهم في الدفاع عن حقول النفط الموجودة في شرق سوريا، مما يتيح لهم الحصول على دخل يمكنهم بعد ذلك استخدامه في ملاحقة جهود مكافحة داعش".

لقد شكّل توسّع «داعش» في العراق فرصةً كبيرة، أمام الإدارة الأميركيّة لتوسيع نفوذها العسكريّ فيه، تحت غطاء التّحالف الدّوليّ. كما استفادت واشنطن من الربط بين الحدود العراقيّة والحدود السّوريّة عبر شرق الفرات وانتشار قوّاتها في هذه المنطقة الاستراتيجيّة التّي تربط بين البلدين، وتمنع من إعادة التقاء الجيشين السّوريّ والعراقيّ والقوّات الحليفة لهما، فضلاً عن أن عين واشنطن على آبار النّفط العراقيّة والسورية. وعليه يمكن القول، إنّ التّنظيم شكّل أداةً لخدمة مصالح واشنطن في سوريا والعراق، وهو ما سيشكل حجة رئيسية لإدارة بايدين للبقاء في المنطقة.